Bible Study

The Epistle of St. Paul to the Romans

رسالة معلمنا بولس الرسول إلي أهل رومية

Fr. Jacob Nadian
St. Bishoy Coptic Orthodox Church of Toronto
Stouffville, ON
Canada

الرسالة إلى أهل رومية

الاصحاح العاشر: سر الجحود والسقوط

- إذ يعالج القديس بولس مشكلة "اختيار شعب الله" التي أساء اليهود استخدامها، فعِوض شعورهم بحب الله الفائق لهم، والتزامهم بمسئولية الكرازة بين الأمم، تحجرت قلوبهم بالجحود، وتعثروا في السيد المسيح "حجر الزاوية"، الذي صار لهم حجر صدمة وصخرة عثرة (رومية 9: 22-23)، بينما قبله المؤمنون حجراً كريماً مختاراً:

"الحجر الذي رفضه البناؤون قد صار راس الزاوية" (مزمور 118: 22)

"لذلك يتضمن أيضاً في الكتاب هأنذا أضع في صهيون حجر زاوية مختاراً كريماً والذي يؤمن به لن يخزى. فلكم أنتم الذين تؤمنون الكرامة وأما للذين لا يطيعون، فالحجر الذي رفضه البناؤون هو قد صار رأس الزاوية" (1 بطرس 2: 6 - 7)

- لذلك فهنا يشرح سر جحودهم حتى لا نسقط نحن أيضاً مثلهم.

الرسالة إلى أهل رومية

"أيها الإخوة إن مسرة قلبي وطلبتي إلى الله لأجل إسرائيل هي للخلاص، لأني أشهد أن لهم غيرة لله، ولكن ليس حسب المعرفة" [2 - 1]

- قبل أن يقوم القديس بولس بتوبيخ اليهود بأكثر شدة، ابتدأ بنقطة محبة موضحاً لهم ألا يلتفتوا إلى الألفاظ، ولا إلى الاتهامات، كأنه يتهمهم بروح عدائي، فإن "خلاصهم" هو موضوع سرور قلبه وصلاته لله.
- قوله "أشهد أن لهم غيرة لله" يظهر هذه المحبة لهم، بالرغم من أن غيرتهم "ليس حسب المعرفة"، التي سقط فيها هو من قبل، إذ كان في غيرته:

"ينفث تهدداً وقتلاً على تلاميذ الرب" (أعمال 9: 1)

الرسال إلى أهل رومية

- وقد سبق وأعلمنا الله بمثل هؤلاء الذين يقتلون أولاده ظانين أنهم يقدمون خدمة لله:

"بل تأتي ساعة فيها يظن كل من يقتلكم أنه يقدم خدمة لله" (يوحنا 16: 2)

- ما سقط فيه اليهود يمكن أن يسقط فيه بعض المسيحيين، إذ تكون "لهم غيرة لله ولكن ليس حسب المعرفة"، كأن يسلك الإنسان بفكر متعصب دون إدراك روحي للإيمان المستقيم أو اتساع قلب لمحبة اخوته في الكنيسة بل يعثر الكثيرون باتهام اخوته ناسياً تعليم الكتاب:

"لكن قبل كل شيء لتكن محبتكم بعضكم لبعض شديدة لان المحبة تستر كثرة من الخطايا" (1 بطرس 4: 8)

أو كأن يجاهد في طريق الفضيلة معتمداً على ذراعه البشري وقدراته الخاصة ومعرفته الزمنية.

الرسالة إلى أهل رومية

"لأنهم إن كانوا يجهلون بر الله، ويطلبون أن يُثبتوا بر أنفسهم، لم يخضعوا لبر الله" [3]

- سر جحود اليهود جهلهم أمرين؛ أولاً: بر الله، أي جهلهم بعمل الله في حياة المؤمن، فطلبوا بر أنفسهم، لا بر الله، فصار ذلك عائقاً عن خلاصهم.
ثانياً: غاية الناموس، أي جهلهم بهدفه وأحكامه فتمسكوا بالحرف القاتل دون الروح الذي يحيي.
- وهو يحاول أن يعطيهم عذراً في أنهم "يجهلون بر الله"، لكنه يحوّل العذر إلى اتهام ضدهم يقوم على كبريائهم واعتداءهم بالذات: "بر أنفسهم". جهلهم لا يقوم على ظروف خارجية قهرية، وإنما على فساد داخلي يدب في النفس.
- حينما تتضخم "الأنا"، تملأ القلب فلا تطيق آخر في داخله، حتى إذ تدينت تعمل لحساب ذاتها المغلقة، فتطلب اثبات "بر نفسها" عِوض اتساعها بالحب لتقبل نعمة الله واهبة بر الله.

الرسالة إلى أهل رومية

"لأن غاية الناموس هي المسيح للبر، لكل من يؤمن، لأن موسى يكتب في البر الذي بالناموس، أن الإنسان الذي يفعلها سيحيا بها" [4 - 5]

- يحدثنا أشعياء النبي عن هذا البر الذاتي، قائلاً:
"قد صرنا كلنا كنجس، وكثوب عُدة (ثوب بال ملوث أو قذر) كل أعمال برنا، وقد ذبلنا كورقة وآثامنا كريح تحملنا" (اشعياء 64: 6)
- إن كانت "الأنا" قد حجبت عن اليهود الالتقاء مع الله بعمله فيهم، فصار برهم الذاتي المزعوم عائقاً عن تمتعهم ببر الله، فإن تمسكهم بحرفية الناموس وشكلياته أفقدهم المتعة بغاية الناموس الحقيقية:
"غاية الناموس هي المسيح للبر".
- اقتبس القديس بولس من قول موسى:
"تحفظون فرائضي وأحكامي التي إذا فعلها الإنسان يحيا بها" (لاويين 18: 5)

الرسالة إلى أهل رومية

"وأما البر الذي بالإيمان فيقول هكذا: لا تقل في قلبك من يصعد إلى السماء أي ليحدر المسيح، أو من يهبط إلى الهاوية أي ليصعد المسيح من الأموات، ولكن ماذا يقول؟ الكلمة قريبة منك في فمك وفي قلبك، أي كلمة الإيمان التي نكرز بها" [6 - 8]

- فإذ أراد اليهود أن يتبرروا بالناموس فالناموس عينه يُعلن عن العجز التام لكل إنسان أن يحقق البر والحياة، وهذا يدفعنا إلى الإيمان بربنا يسوع المسيح الذي وحده غير كاسر للناموس، بل وقادر على تبرير مؤمنيه.

- والسؤال الآن: ماذا يكون حالنا أمام الوصايا الإنجيلية وهي أصعب من وصايا الناموس؟ هنا يوضح الإمكانيات الجديدة التي صارت لنا خلال السيد المسيح والتي يمكن تركيزها في نقطتين جوهريتين:

1) أن الإيمان بالمسيح بسيط وقريب منا للغاية [6-8].
2) أن الآب أقام المسيح، ليهبنا قوّة القيامة عاملة فينا [9-11].

الرسالة إلى أهل رومية

- في الآيات 6 إلي 8، يذكرهم بأقوال موسى النبي بعد أن أعطاها رؤية إنجيلية، إذ جاء في سفر التثنية:

"أن هذه الوصية أوصيك بها اليوم ليست عسرة عليك، ولا بعيدة منك. ليست هي في السماء حتى تقول من يصعد لأجلنا إلى السماء ويأخذها لنا ويُسمعنا إياها لنعمل بها؟ ولا هي في عبر البحر حتى تقول: من يعبر لأجلنا البحر ويأخذها لنا ويُسمعنا إياها لنعمل بها؟ بل الكلمة قريبة منك جداً في فمك وفي قلبك لتعمل بها" (تثنية 30: 11 - 14)

- أي أن كلمة الله صارت في وسطهم تبكتهم وتحثهم على الرجوع إلى الله، وبالمثل فكلمة الله المتجسد، السيد المسيح، صار إنساناً وحل بيننا كواحد منا. فلم يعد غريباً عنا ولا بعيد عن حياتنا، بل هو قريب إلينا، يسكن فينا ويحل بروحه في داخلنا، لنحيا به في كلماتنا وتصرفاتنا وكل مشاعرنا وأحاسيسنا.

الرسالة إلى أهل رومية

"لأنك إن اعترفت بفمك بالرب يسوع، وآمنت بقلبك أن الله أقامه من الأموات خلصت، لأن القلب يؤمن به للبر، والفم يعترف به للخلاص، لأن الكتاب يقول: كل من يؤمن به لا يخزي" [9-11]

- إن كان الإيمان ليس بالأمر الصعب، لكنه يتطلب نفساً متيقظة ساهرة تقبل السيد المسيح الذي قام من الأموات. فكما سبق فقال أن إبراهيم "على خلاف الرجاء آمن على الرجاء" (رمية 4: 18)، هكذا المسيحي يقبل على خلاف الرجاء الطبيعي الحياة المُقامة في السيد المسيح، الذي هو مركز إيماننا!

- قوله "إن اعترفت بفمك بالرب يسوع، وآمنت بقلبك... خلصت" تعني اشتراك الفم (الإنسان الخارجي) مع القلب (الإنسان الداخلي) في الإيمان.

الرسالة إلى أهل رومية

- بدون القلب يصير اعترافنا الظاهري مجرد شكليات، وبدون الحياة العاملة والاعتراف الظاهر لا ننعم بهذه المكافأة:

"كل من يعترف بي قدام الناس اعترف أنا أيضاً به قدام أبي الذي في السماوات" (متي 10: 32)

"فليضيء نوركم هكذا قدام الناس لكي يروا أعمالكم الحسنة ويمجدوا أباكم الذي في السماوات" (متي 5: 16)

- ليتنا نؤمن بربنا يسوع المسيح بكل قلبنا، فيملك كرب، ويخلص أعماقنا من كل ظلمة، متجاوبين مع مخلصنا بحياتنا المقدسة فيه، فنعترف به بشفاهنا.

- وقوله "كل من يؤمن به لا يخزي" [11]، يؤكد عمومية الخلاص للجميع بلا تمييز بين يهودي وأممي.

الرسالة إلى أهل رومية

- وكما سبق وكشف عن سر جحود اليهود، ألا وهو رفضهم الإيمان البسيط القريب، جاء قوله في الآية 11 يذكرهم بقول أشعياء النبى:

"من آمن لا يهرب (يخزي)" (أشعياء 28: 16)

- ثم أكد أن باب الخلاص مفتوح للكل لأن إلهنا واحد وهو رب الكل:

"لأنه لا فرق بين اليهودي واليوناني، لأن رباً واحداً للجميع، غنياً لجميع الذين يدعون به، لأن كل من يدعو باسم الرب يخلص" [13 - 12]

- كما يقتبس من يوئيل العبارة:

"كل من يدعو باسم الرب ينجو (يخلص)" (يوئيل 2: 32)

- وهذه العبارة اقتبسها أيضاً القديس بطرس في عظة يوم الخمسين

"ويكون كل من يدعو باسم الرب يخلص" (أعمال 2: 21)

الرسالة إلى أهل رومية

"فكيف يدعون بمن لم يؤمنوا به؟ وكيف يؤمنون بمن لم يسمعوا به؟ وكيف يسمعون بلا كارز؟ وكيف يكرزون أن لم يُرسلوا؟ كما هو مكتوب ما أجمل أقدام المبشرين بالسلام، المبشرين بالخيرات" [15-14]

- يدخل القديس بولس بهذه الآيات إلى اتهام جديد لهم، ألا وهو تجاهلهم الدور الرئيسي الذي كان يجب أن يقوموا به كشعب الله المختار: الكرازة بالمسيا الذي شهد له العهد القديم برموزه ونبواته.

- بمعنى آخر كان يليق بهم أن يسبقوا الأمم في قبول الإيمان بالمسيا المخلص ليقوموا بدور الكارزين، مكمِّلين رسالة أنبيائهم، عِوض مقاومتهم للإيمان، التي تقود إلي دينونة مضاعفة، كقول أشعياء:

"ما أجمل على الجبال قدمي المبشر المخبر بالسلام، المبشر بالخير، المخبر بالخلاص، القائل لصهيون: قد ملك الهك" (أشعياء 52: 7)

الرسالة إلى أهل رومية

"لكن ليس الجميع قد أطاعوا الإنجيل، لأن أشعياء يقول: يا رب من صدّق خبّرنا؟ إذاً الإيمان بالخبر، والخبر بكلمة الله. لكنني أقول: ألعلهم لم يسمعوا؟ بلى! إلى جميع الأرض خرج صوتهم، وإلى أقاصي المسكونة أقوالهم" [16 - 18]

- حتى رفضهم للإيمان تنبأ عنه أشعياء، فقد سبق فأنبأ أنه ليس الجميع يطيعون الإنجيل، إذ يرفض كثير من اليهود خبر التبشير الذي سبق فأعلنه النبي نفسه:

"من صدق خبرنا ولمن استعلنت ذراع الرب" (أشعياء 53: 1)

- هو قدّم الخبر ليؤمنوا بالإنجيل، لكنهم لم يسمعوا، مع أن الأمم الذين في أقاصي المسكونة سمعوا من الرسل وآمنوا، وهكذا صاروا شهوداً عليهم.

"السماوات تحدّث بمجد الله، والفَلك يخبر بعمل يديه. يوم إلى يوم يذيع كلاماً، وليل إلى ليل يبدي علماً. لا قول ولا كلام، لا يسمع صوتهم. في كل الأرض خرج منطقهم وإلى أقصى المسكونة كلماتهم" (مزمور 19: 1 - 4)

الرسالة إلى أهل رومية

"لكني أقول: ألعل إسرائيل لم يعلم؟ أولاً: موسى يقول أنا أُغيرَكم بما ليس أمة، بأمة غبيّة أغيظكم؛ ثم أشعياء يتجاسر ويقول: وُجدت من الذين لم يطلبوني، وصرت ظاهراً للذين لم يسألوا عني. أما من جهة إسرائيل فيقول: طول النهار بسطت يدي إلى شعب معاند ومقاوم" [19 - 21]

- هنا يذكرهم القديس بولس بالعديد من نبوات العهد القديم:

"هم أغاروني بما ليس إلهاً، اغاظوني بأباطيلهم. فأنا أغيرهم بما ليس شعباً، بأمة غبية أغيظهم" (تثنية 32: 21)

"أصغيت إلى الذين لم يسألوا. وُجدت من الذين لم يطلبوني. قلت هأنذا هأنذا لأمة لم تسم باسمي. بسطت يدي طول النهار إلى شعب متمرد سائر في طريق غير صالح وراء أفكاره" (أشعياء 65: 1 - 2)

الرسالة إلى أهل رومية

- قوله "ألعل إسرائيل لم يسمع؟"، أي هل سمع إسرائيل ولم يفهم؟ إن كان الأمم الوثنيون سمعوا وأدركوا الإيمان، فكم بالأحرى كان يليق باليهود الذين أعطاهم الله منذ القدم كل العلامات ليفهموا النبوات.
- في قوله "هم أغاروني بما ليس إلهاً... فأنا أُغيرهم بما ليس شعباً"، يشير إلي قبول الله للأمم الوثنيّة كشعب له خلال الإيمان، ليُثير أيضاً مشاعر اليهود لعلهم يرجعون عن جحودهم ويتوبون إلى الله، وهكذا لم يغلق الرب الباب في وجه أحد.
- قوله "طول النهار بسطت يدي إلى شعب معاند ومقاوم" إشارة إلى العهد القديم بأكمله حيث بسط الرب يديه خلال نداء الأنبياء المستمر، وإعلانه عن حُبه لهم رغم عنادهم ومقاومتهم. كما يشير إلى الصليب حيث بسط الرب يديه عند موته ليحتضن كل الناس، حتي المعاندين والمقاومين.

"لا تستكبر بل خف" (رومية 11: 20)